

جمالية الانسجام الصوتي في خواتم سورة آل عمران

سيد خليل باستان^١، حسن ساقى آلني^٢، محسن زانعزاده مهريزي^{٣*}

١. أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة العلامة الطباطبائي - طهران

٢. طالب دكتوراه في اللغة العربية وآدابها بجامعة العلامة الطباطبائي - طهران

٣. طالب دكتوراه في اللغة العربية وآدابها بجامعة العلامة الطباطبائي - طهران

تاريخ استلام البحث: ١٣٩٤/١٢/٠٨ تاريخ قبول البحث: ١٣٩٥/٠٨/٠٣

الملخص

إنّ ورود حرف وصوت خاص وتكراره يساعد على الانسجام الجمالي؛ ويوحي بشدّة المعنى وقوّته؛ ويوحي بأهمية الأمر وفخامته؛ وتتناسب هذه الحالة مع تجويد الحروف وصفاتها ممّا زادت الألفاظ قوّة وشدّة في أداء المعنى. إنّ الانسجام الصوتي يمثّل ركناً رئيساً في عبارات القرآن الكريم ولا سيما خواتم الآيات فتتألف الخواتم من الحروف والعبارات الباعثة على الإيحاء بقوّة الأمر؛ فهي كنسيج مقطعي تظافر العبارات من خلال علم التجويد ويرى المتأمل فيها، جملاً قوّة شديدة الوقع على الأذن قوّة الجرس تناسب الموقف والمعنى؛ وهذه القوّة في الإيقاع والمعنى نابعة من أصوات الكلمات المعتمدة على الحروف المتشكلة منها وصفاتها وتركيب بعضها مع بعض على وفق قاعدة التجويد. هذا البحث من خلال المنهج الوصفي التحليلي، يحاول دراسة جمالية الانسجام الصوتي في خواتم آيات سورة آل عمران بإحصاء الأصوات وصفاتها لتبيين جمالية الانسجام الصوتي؛ والنتائج تدل على الانسجام بين الأصوات والجملة مع دلالاتها في الخواتم كما أنّها تدل على وجود مواقع جمالية فيها لرعاية قواعد التجويد.

الكلمات الرئيسية: سورة آل عمران؛ الانسجام؛ التجويد؛ الدلالة؛ الخواتم (الخاتمة).

المقدمة

ليس الانسجام مفهوماً مستحدثاً بل ورد في الحقول اللسانية التراثية والمعاصرة بتسميات مختلفة. ينبع الانسجام من التشابه الدلالي أو من التناسب الشكلي صرفياً أو نحوياً؛ وربما يبرز النص المنسجم الجمالي من خلال مكونات اللغة الصوتية أي التكامل والترابط بين المكونات الصوتية للنص الفني، تُسبب نوعاً من النظام في النص وتزيد انسجامه الشكلي والصوتي.

دراسة الانسجام الصوتي من الدراسات التي تحتل مكانة عالية في دراسات علم اللغة وتعدّ من المناهج التي اعتمدت على الدراسات اللغوية لكونها أساساً في تحليل النصوص. تكشف جمالية الانسجام الصوتي عن درجة التأثير الجمالي للقرآن الكريم في الروابط والعلاقات بين كلماته وجماليته إثر المستويات الصرفية والنحوية والصوتية. فالآيات القرآنية لم تكن خطاباً جامداً تنتهي دلالاته بمجرد الكلام عن ظاهر المعنى وصراحته بل يميل القارئ إلى معان إضافية وإشارية تتبلور منها، جمالية النص القرآني وإعجازيته الفنية.

لا شك أن الدراسة الصوتية لخواتم الآيات تكون من أهم الدراسات الفنية القرآنية لأنّ تحليلها الصوتي يساعد جداً في فهم طبيعة جوّ الآيات وفي الكشف عن الجوانب الجمالية فيها؛ بالإضافة إلى ما فيها من كشف الإنفعالات النفسية التي تكون عند القرآن الكريم حيث يكشف المتلقي بين نص الآيات وبين خواتمها صلة وثيقة؛ وبما أنّ القرآن الكريم يكون فناً صوتياً، تكتمل موسيقى الخواتم فيه، بسبب تآلف الأصوات التي تعين على إيجاد الجو الملائم للمعنى فتشير في المتلقي، حلاوة تذوق الانسجام، سواء أكان بالحروف المكررة أم المتنوّعة أو المتناسقة.

أسئلة البحث

إنّ الأسئلة التي نطرحها، هي: هل تنتهي الآي القرآنية في سورة آل عمران بكلمات تتلائم مع مضمون الآيات وإن كان الجواب إيجابياً فما هي أدواتها ودورها؟ كيف توضح هذه الأدوات، رموز انسجام الخواتم وجمالياتها؟ كيف يؤثر علم التجويد على جمالية الانسجام في خواتم الآيات؟

الدراسات السابقة

احتلت دراسة الانسجام حيزاً واسعاً من المكتبة العربية وحظيت سورة آل عمران بدراسات عديدة، لكن هذه الدراسات اقتصرت على جانب الدلالة والجانب التفسيري كالصفات الإلهية وربما تتوقف الدراسات الصوتية عند الحرف الواحد أو اللفظة الواحدة دون توسيع البحث إلى الجُمَل الخواتم والانسجام بينها ولم يَقم أحد بدراسة الانسجام والنظام الصوتي ودلالته وجماليته بصورة مستقلة في سورة آل عمران على أساس علم التجويد وعلى أساس خواتم الآيات بوصفها مركزاً لجمع الوحدات الصغرى للآيات وتنظيماً صوتياً ودلالياً لِحَوِّ الآيات.

وأما بالنسبة إلى الدراسات المرتبطة بهذا الموضوع فهناك دراسات أسلوبية وصوتية، منها: رسالة جامعية بعنوان: "ظواهر وأسلوبية وفنية في سورة النحل" لأسامة عبد الملك إبراهيم عثمان للنيل إلى درجة الماجستير بجامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠٣م. ورسالة بعنوان: "البنية الصوتية ودلالاتها في شعر عبدالناصر صالح" لإبراهيم مصطفى إبراهيم رجب لنيل درجة الماجستير في كلية الآداب في جامعة الإسلامية بغزة، ٢٠٠٣م. رسالة بعنوان: "الانسجام في القرآن الكريم (سورة النور أنموذجاً)" لنوال خلف، لنيل الدكتوراه، جامعة الجزائر ٢٠٠٧م. رسالة بعنوان: "جملة الخاتمة في الآيات الكونية والإنسانية دراسة أسلوبية" بجامعة النجاح الوطنية، لنور هاني محمد سمحان، ٢٠٠٩م و... .

علم التجويد

إنّ القرآن الكريم هو الذي يحسن اختيار المعنى ويحسن تصويره بألفاظ أو أشكال جيّدة. فالنص القرآني هو الصورة أي مظهر من مظاهر المعاني أو اللغة الأدبية ولكي يصل المتلقي إلى جماله الفني والموسيقي، عليه بعلم التجويد. وبسبب علم القراءة تجلّى علم التجويد ومن خلال تدوين القراءات السبعة. هذا العلم يبحث عن مخارج الحروف وصفاتها وسائر القواعد في موضوع تلاوة القرآن الكريم. اهتم بدراسة علم التجويد، عدد من علماء السلف، أشهرهم النحويون واللغويون والقراء. وإنّ جهود اللغويين والنحويين في ميدان دراسة الأصوات، كانت في بداية الأمر، بصورة متفرقة وانحصرت في مقدمة كتاب «العين» للخليل بن أحمد (ت.١١٧٠هـ) و«الكتاب» لسيبويه (ت.١١٨٠هـ) في مواضع متفرقة و«المقتضب» للمبرد (ت.٢١٨٥هـ) ولكن موسى بن عبيدالله بن يحيى بن خاقان البغدادي (ت.٣٢٥هـ) أول من ألف كتاباً مستقلاً في موضوع علم التجويد ولو كان كتابه موجزاً ولكن اشتهرت قصيدته الخاقانية في قواعد علم التجويد (بيگلري، بلاتا: ٥٦).

يعتمد النص القرآني من خلال رعاية علم التجويد، اعتماداً دائماً على موسيقى عذبة تؤثر في أعماق القلوب، مصدرها انتقاء الألفاظ المتلائمة ومدى خدمتها للمعاني حيث يقول لامبورن في تحليل الموسيقى الداخلية العذبة: «إنّ الموسيقى الداخلية يشخصها جانبان مهمّان هما: اختيار الكلمات وترتيبها من جهة ثم المشاكلة بين أصوات هذه الكلمات والمعاني التي تدل عليها من جهة أخرى حتى تحدث هذه الصناعة الغريبة.» (الضيف، بلاتا : ٨٠) في قضية ترتيل القرآن يراعي علم التجويد، دقائق داخلية يمتاز بها التسق القرآني من مدّ وصغير وجهر وقلقلة.

الاستعلاء

يُعرّف الاستعلاء أو التفخيم بأنه «ارتفاع مؤخّر اللسان إلى الأعلى قليلاً في اتجاه الطبقة اللين وتحركه إلى الخلف قليلاً في اتجاه الحائظ الخلفي للحلق.» (عمر، ١٩٧٦م: ٢٨٣) وحروفه (خص ضغط قط) «وتسمى هذه الحروف مستعلية لاستعلاء اللسان وارتفاعه إلى الحنك الأعلى عند النطق بها» (انظر: الشافعي، ٢٠٠٠م: ٨٧-٨٠).

يعتبر النسق التفخيمي من أنواع النسق الصوتي؛ والقصد منه هو توالي الأصوات المفخّمة والمستعلية وتآلفها في مجموعة صوتية واحدة. أنظر إلى أصوات الصاد والراء والطاء والقاف التي تسهم في تجسيد فخامة الطريق في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّيَّ وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (آل عمران/٥١). ترجع دلالة هذه الأصوات إلى صفاتها ووقعها في الآذان حيث تعتبر أصوات القاف والطاء والصاد من أنسب الأصوات للتعبير عن معاني القدرة والقوة، فصوت الصاد صوت شديد مجهور مطبق وصوت الطاء شديد وفيه استعلاء، والقاف صوت شديد يتمتع بالقلقلة وله استعلاء، كل تلك الأصوات تحمل في طياتها، القدرة والقوة في تجسيم الاعتصام بحبل الله تعالى بشدة فيمكننا القول إن لفظة "صراط" جاءت بدلاً من "سبيل" إيجاءً باستقامة سبيل الحقّ وعدم تشعبه قبل أن تأتي صفتها أي لفظة "مستقيم" حيث يؤدّي هذا التصوير مع كلمة "مستقيم" إلى الاستقرار والهداية في الصراط المستقيم، دون الشعور بالقلق والتحير؛ فترى أنّه تعالى ينتقي العبارة "صراط مستقيم" إذ إنّها تعبّر عن توسعية المعنى بدلاً من كلماتها الاستبدالية الأخرى.

وكان لصوت القاف والصاد والراء والطاء، أثر كبير في تصوير الاصطفاء وتجسيد رفعة مقام مريم (س) وتطهيرها واصطفاءها على نساء العالمين في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ

اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ (آل عمران/٤٢)

تمثّل المجموعة الصوتية المفخمة في نوعين، الأول: الأصوات المطبقة وتشمل أصوات الضاد، والصاد، والطاء، والظاء؛ وهي أصوات كاملة التفخيم فيها مع استعلائها إطباق، والثاني: الأصوات ذات التفخيم الجزئي وهي أصوات لا إطباق فيها مع استعلائها وتشمل أصوات: الخاء، والغين، والقاف. (أنظر: ابن جني، ج ١: ٦٨)

إنّ انتقاء الحروف التفخيمية في هذه الآية، يناسب المقام إذ إنّ الموقف هنا موقف الإنسان الكامل حيث يمكن القول إنّ الله اختار في هذا المقام من الأصوات الإحتكاكية والإنفجارية مراعاة لمقتضى الكلام إذ ينبه الإنسان بمكانة مريم (س) ورفعته التي تكون في الحد الأعلى.

وبالنظر إلى هذا الغرض يستطيع الدارس أن يلمس انتشار أصوات التفخيم التي تتلائم مع مضمون ذلك الغرض في خاتمة قوله تعالى: ﴿بَلِ اللّٰهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ (آل عمران/١٥٠) لذلك جاءت الخاء المستعلية والراء المفخمة التكريرية والصاد المستعلية بصحبة ألف المدّية في تجسيم جوّ نصره الله عباده فنجد أنّ هذه الأصوات أستخدمت في الآية للتعبير الفني عن أجواء القدرة والنصرة فاللغة الأدبية لغةً إشاريّة تحمل دلالة رمزيّة وجماليّة تتجاوز ما تحمله اللغة الطبيعيّة لأنّ الأديب يتعامل مع اللغة بصورة فنيّة وتشكيليّة.

الإخفاء

«الإخفاء لغة: السّتر واصطلاحاً: نطق الحرف بصفة بين الإظهار والإدغام عار عن التّشديد مع بقاء العنة في الحرف الأوّل. فإذا جاء بعد النّون الساكنة أو التّنوين حرف من الحروف المهجائيّة الباقية فيجب إخفاء النّون الساكنة أو التّنوين، مع بقاء العنة فيهما.» (الغوثاني، ١٠: ٢٠٠٦) ليس الإخفاء إلّا إطالة صوت النون في الخيشوم والأنف وأمّا أصوات الإخفاء فهي خمسة عشر صوتاً: ت، ث، ج، د، ذ، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ف، ق، ك فحينما تقع أحد هذه الحروف بعد النون الساكنة أو التّنوين تحدث ظاهرة الإخفاء؛ وهذا الأسلوب يضاعف من قوّة إسماع الكلمات ويجعل الآية ولاسيما خاتمتها، إيقاعاً حاسماً جلياً يتواءم مع التفكير والتعقل في جلاء معناها؛ ويضاعف من وقعها في نفس المتلقي كقوله تعالى:

﴿...إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران/٤٩)

﴿...قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (آل عمران/١١٨)

﴿...وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (آل عمران/١٦٤)

وقعت ظاهرة الإخفاء في خواتم الآيات بين النون والكاف وبين النون والتاء وبين النون والقاف وتمثل هذه الميزة للمتلقى، ريناً مدوياً حاملاً تردداً زمنياً طويلاً، له وقع خاص في النفس ولكن لم تنحصر في هذا التآلف الصوتي السطحي فحسب بل نجد لصوته في خواتم الآيات، ايقاعاً حانياً يتواءم مع عتاب الله للمتلقين ويناسب التفكير كآية ١١٨ التي جاءت بكلمة "تعقلون" منسجمة مع الإخفاء مكرراً في نهاية الآية.

يمكننا القول إن هذا الإخفاء في خاتمة الآية، ربما يشير إلى الترية الصحيحة أو تركية النفس حيث يحرض الإنسان على الإيمان والتعقل دائماً وبذلك يمكننا أن نقرر بأن مكونات البنية الصوتية في الآيات السابقة قد استطاعت عبر تلاحمها، أن ترسم لوحة فنية كاملة تعكس دلالة الحزن والحنين.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيَبْغِضَنَّ...﴾ (نساء/٧٢) «فترسم صورة التبطئة في جرس العبارة كلها وفي جرس «ليبطئن» خاصة. وإن اللسان ليكاد يتعثر، وهو يتخبط فيها، حتى يضل ببطء إلى نهايتها.» (قطب، ١٩٩٥م: ٩٢)

إنّ للسياق الذي ترد الألفاظ فيه، دوراً هاماً في البحث عن الانسجام كالأية السابقة إذ لا يصح الاعتماد على مجرد النظرة الفردية في كل كلمة دون معرفة مواقعها في الآية لأنّ اللفظة في حد ذاتها لا قيمة لها وتستمد قيمتها من السياق الذي ترد فيه. إذ تردّد حرف النون المشددة ذات صوت الغنة في كلمة "إن" وتكرارها في كلمة "منكم" مع الإخفاء والغنة؛ وتكرار الغنة في "اللام" ثلاث مرات إثر الادغام؛ وتكرار النون المشددة ذات صوت الغنة في كلمة "الليبطئن" ساعد في تجسيد "التبطئة" في العبارة لأنّ الغنة ليست إلا إطالة صوت النون مع تردّد موسيقى محبّب فيها.

مدار الاهتمام ليس الصوت في ذاته ولكن الصوت صدئ وتنشأ من صدى الصوت، اختلافات صوتية تميّز الكلمة في ضوءها عن سواها ويعتبر أن تلك الاختلافات هي الحاملة للدلالة على سبيل المثال في الآية التالية: ﴿وَمَنْ أَهْلُ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بِقَنْطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ...﴾ (آل عمران/٧٥) وقعت ظاهرة الإخفاء في كلمة قنطار بين القاف المستعلية والطاء المستعلية وتسببت في إجماع الثقل في دلالة هذه الكلمة؛ لأنّ كلمة "القنطار" تدل على مال كثير.

وعدم وجود الإخفاء في خاتمة قوله تعالى: ﴿أَفَعَيِّرَ دِينَ اللَّهِ يَتَّبِعُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ (آل عمران/٨٣) ينسجم مع سرعة الانبعاث والرجوع إلى الله تعالى إذ يقوم عدم الإخفاء والغنة فيها، بإجاء أداء السريع بالرجوع السريع إلى الله كما تأتي القيامة فجأة وتقع أحداثها بسرعة ودقة؛ ويشير هذا الإيقاع السريع وعدم الاندماج إلى الإحساس بسرعة الرجوع من الدنيا إلى الآخرة وقصر الإقامة في الدنيا.

الجهر

حروف الجهر تسعة عشر وسميت هذه الحروف جهرية للجهر بها وقوتها وانجاس النفس معها عند النطق بما لقوة الاعتماد على المخرج وهو ضد الهمس وحروفه مجموعة في قوله: "فحثة شخص سكت" وما سواها يكون حروف الجهر. تتجلى صفة الجهر في الحروف المجهورة «وهي حروف تنقبض بأدائها فتحة الزمار ويقترب الوتران الصوتيان ولكنها تسمح بمرور النفس الذي يندفع فيها حيث يصاب الوتران الصوتيان بالاهتزاز.» (طحان، ١٩٧٢م: ٥١، ٥٠) «فالصوت المجهور هو الذي يهتزّ معه الوتران الصوتيان ويضاف إليها كل أصوات اللين بما فيها الواو والياء وهي أوضح من الأصوات المهموسة» (أنيس، بلا: ٢١ و ٢٢ و ٢٨).

نلاحظ في خواتم الآيتين التاليتين إيقاعاً انفجارياً يلوح بالأصوات المجهورة حيث ينسجم في السياق وهذا أمر يقتضيه المقام: ﴿...إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ (آل عمران/٤)، و﴿كَذَّابٍ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (آل عمران/١١) ونستشعر وجود ترابط بين صوت الكلمات وما توحى بها من معان هامشيّة كالفزع والاضطراب، بما يملأ العالم في يوم القيامة من مشاهد موحشة توحىها الخواتم، باستخدام الألفاظ المجهورة الشديدة كالعين والواو حيث توحى بعاقبة يواجهها الإنسان في ذلك اليوم من رؤية الأرض بالضوضاء والمخاوف والهدم والخراب حيث يضطرب الناس بشدة.

وفي قوله تعالى: ﴿...ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (آل عمران/٢٣) إنّ المتفحص لهذه الآية يلاحظ انتشار الأصوات المجهورة فيها بشكل لافت للنظر، حيث سيطرت على الخاتمة؛ ويرجع سبب ذلك إلى أن خواتم الآيات تتحدث عن تبعات أعمال الناس والكافرين وعن عذاب أليم وعظيم؛ لذلك اختار الله تعالى، الأصوات المجهورة السهلة اليسيرة التي تتضح بها شدة العذاب وحدتها. ومن مقررات علم الصوت أنّ الجهر ذو دور فاعل في وضوح الصوت (البرسيم، ٢٠٠٠م: ٨٩) إذ الصوت المجهور أوضح من الصوت المهموس كما كشفت الدراسات الصوتية المختبرية؛ وإذ الأصوات المهموسة تنتج

بجهد مضاعف وتحتاج إلى وقت أكثر من الأصوات المجهورة التي تنتج بجهد ووقت أقل. (المصدر نفسه: ٤٩) في الآيات التالية: ﴿...فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ و﴿...وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (آل عمران/ ٢١ و ٢٢)، و﴿...وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران/ ٩٧)، و﴿... وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، و﴿... وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (آل عمران/ ١٧٦ و ١٧٧)، إنك ترى في هذه الآيات الكريمة، وهي إنذار بما يكون يوم القيامة، وما يستقبل الذين أشركوا، وكفروا وأكثروا فيها الفساد، من عذاب شديد يترقبهم، ترى في النغم قوة شديدة قارعة لأسماع الذين يشركون، ويكفرون بالله تعالى، ويفسدون، ويعتدون، ويظلمون وتشتبك في نغمة الترهيب، الألفاظ بحروفها، والجمل بكلماتها، والخواتم بشدة جرسها، وقرع الأسماع بها. إن أكثر الحروف في خواتم الآيات السابقة، تجهر بصفة الجهر وتفضي بها إلى تجسيد العذاب العظيم والمؤلم؛ وتشير إلى جرس عال يجسد في ذهن القارئ، هيئة العذاب، ولهذا يقول جاكسون: «يستحيل أن نجد مؤلفاً واحداً لا يهتم بالرمزية الصوتية ولا يطبقها في إبداعه بشكل أو بآخر.» (بونجمة، بلانا: ١٠)

نجد في الخواتم المذكورة بعض الأصوات المهموسة جانب الحروف المجهورة الغالبة فعلينا أن نعلم «إذا اجتمع صوت مجهور، وآخر مهموس، فقد اجتمع صوتان مختلفان لكل منهما طبيعة خاصة؛ والجمع بين هذين الصوتين يقتضي عضو النطق أن يعطي كل صوت منهما حقه، وفي ذلك عسر لا يخفى؛ فإذا تألفت كلمة وقد تجاور فيها صوتان، أحدهما مجهور، والآخر مهموس؛ فما يزال أحدهما يؤثر في الآخر حتى يصيرا مجهورين معاً، أو مهموسين معاً.» (الصغير، ٢٠٠٠م: ١٩١) ثم يعم ذلك العبق جو الخاتمة كله ويترك آثاره فيها حتى تختم بإيقاع شديد ورهيب.

القلقلة

إذا كانت هناك دلالة للأصوات، فمنها تكون القلقلة وهي تعني الاضطراب وعدم الاستقرار لأن القلقلة ليست في حقيقة الأمر إلا مبالغة في الجهر في الصوت لغلاً تشوبه شائبة من همس (الحمزاوي، ١٩٨٧م: ١٦١). وحروفها (قطب جد) و«سميت قلقلة لاضطراب اللسان عند النطق بالحرف حتى يسمع له نبرة قوية خصوصاً إذا كان ساكناً» (انظر: الشافعي، ٢٠٠٠م: ٨٧-٨٠).

في قوله تبارك وتعالى: ﴿كَذَابٍ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (آل عمران/ ١١) يحدد علم التجويد، القلقلة في صوت الباء الذي تردد في الآية سبع مرّات حيث ختمت الآية بذلك الفونيم؛ وهذا يساعد على تبيان أهمية المعنى من حيث تصويره

بالصوت، فهو يعطي للوقوف على صوت الباء قوة تفيد في تحسيم الموقف ولو أنعمنا النظر في حرف الفاصلة، نجد القرآن الكريم أنه قد انتقى الباء لما له من قوة انفجارية تلائمت مع الدلالة التي اتسمت بالغضب والمؤاخذه كأن هذا الصوت يعبر عن الحالة الشعورية لدى القرآن المجيد. «هذا النوع . حرف الباء . من الأصوات الانفجارية هو ما اصطلح القدماء على تسميته بالصوت الشديد وما يسميه المحدثون انفجاريًا.» (أنيس، ١٩٨٤م: ٢٤) ويحقق هذا الصوت مع نظيره أي الدال والقاف في الخاتمة نسقاً ايقاعياً ذا طاقة تأثيرية على المتلقي واستثناساً في الملامح الصوتية وآلية النطق.

وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ قَبْلَنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران/١٩١) تردد كل حروف القلقة كالقاف خمس مرات والباء ست مرات والدال مرة واحدة والجيم مرة واحدة والطاء مرة واحدة واكتسبت الآية لونا من الموسيقى يضطرب منها المستمع المتفكر في الآفاق ويخاف من عذاب النار؛ وتؤثر هذه الأنغام مع الارتباطات والظروف والمواقف والحياة والتفكير فيها أشد التأثير؛ وتأثيرها يقوم على ما فيها من صوت ومعنى معاً؛ فهي بناء متلائم متناسب، وهي أصوات متناظرة تعتبر رموزاً للمعاني إذ يؤكد علم اللغة الحديث أنّ اللغات جميعها، قلما تشتمل على أصوات متنافرة، يقول الدكتور إبراهيم أنيس: «إن اللغات في أحدث صورها تكاد تخلو من المجموعات الصوتية المتنافرة التي تتعثر في نطقها الألسنة، مثل الكلمات التي يصفها علماء البلاغة بتنافر الحروف مجتمعة كالمخج ومستشزرات.» (أنيس، ١٩٨٤م: ٣٢) يستفاد من هذا الكلام أنه يرجع السبب في علق الانسجام الصوتي في القرآن الكريم إلى التلائم والتناسب بين الحروف وصفاتها فليس فيها تباعد شديد في المخارج ولا تقارب شديد بحيث يجعل بعض الحروف مُدغماً في بعض.

الاستفال

يعتبر الانسجام الصوتي بين الحروف المستقلة من أنواع النسق الصوتي والقصد منه هو توالي الحروف المستقلة وتآلفها. حروفه ما سوى حروف الاستعلاء (خص ضغط قظ) و«سميت مستقلة لانخفاض اللسان في الفم وعدم ارتفاعه إلى أعلاه عند النطق بها» (انظر: الشافعي، ٢٠٠٠م: ٨٧-٨٠).

في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران/١٣٠) يلاحظ الباحث أن القرآن المجيد قد لجأ إلى الأصوات المستقلة الضعيفة الهادئة، مبتعداً

عن الأصوات ذات الصفات القوية، ويرجع سبب ذلك إلى أنه يتحدث عن أناس هم فوق مستوى البشر، أناس ينعمون بمنزلة أعلى من عامة المؤمنين، يتحدث بحالة مرهفة ورقيقة، عن أناس لا يقربون من الربا، لهم احترام وتقدير عند الناس ولهم الثواب العظيم عند الله فكان لا بد من الحديث عنهم برفقة وشفافية تتلاءم مع حالة التقديس لهم، وتنسجم مع أرواحهم الطاهرة الرقيقة.

وفي خاتمة قوله تعالى: ﴿...وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (آل عمران/١٧٠) حصل الانسجام الصوتي بسبب تكرار الحروف "الخاء، الفاء، الهاء والخاء" المهموسة ضعيفة الاحتكاك (ينظر: أنيس، بلاتا: ٢٥) وسيطرهما على بقية الحروف: ﴿...من خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ هذه الحروف مع تميّز الخاء بالرطوبة والرواء (ابن سينا، ١٩٨٣: ٧٤) يوحي بوجود علاقة تكامل وتوافق مع الرفاق؛ ويرجع سبب ذلك إلى أنه يتحدث عن المستشهدين الذين هم فوق مستوى البشر، عن أناس ينعمون بمنزلة أعلى من عامة المؤمنين؛ ولهم احترام وتقدير عند الناس ولهم الثواب العظيم عند الله.

لو نظرنا بنظرة شمولية للآية التالية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران/٢٠٠) فإنها تشتمل في القسم الأول على الأصوات المستعلية فقامت بتوظيف أصوات التفتيح والاستعلاء مرات عديدة وضاعف من قوتها بربطها مع صوت الراء في الكلمات الآتية: "اصْبِرُوا، صَابِرُوا، رَابِطُوا" حيث تجلّت في هذه الكلمات، أقوى أصوات اللغة العربية وهي الصاد والطاء والقاف، أبرزتها الآية لشدّ عَمَّ بقوتها، قوه صوت الراء في رسم تلك اللوحة في أمر الاستقامة والتقوى «الراء تكراري انفجاري مجهور فهو يؤلف صوراً مشحونة بالعنف والشدّة.» (بلقاسم، ٢٠٠٩م: ٢٣) أمّا في الخاتمة لم ترد الأصوات المستعلية بل هي رقيقة وشفافة؛ وهذا ما أكده إبراهيم أنيس حين قسم الحروف إلى قسمين: «أحدهما ينسجم مع المعنى العنيف والآخر يناسب المعنى الرقيق الهادئ» (أنيس، ١٩٥٢م: ٤٣). عبرت الآية عن المعاني العنيفة في هذه الدنيا ومصائبها تارة؛ وعبرت في الخاتمة عن الفلاح والنجاة بسبب الوصول إلى رضوان الله تارة أخرى؛ لما تمتعت به تلك الأصوات من رقة في صفاتها بخلاف الصاد والضاد والطاء والقاف والراء المفخمة واللام المستعلية التي تنتسبان إلى الأصوات المستعلية. يؤدي الصبر والمصابرة والمرابطة والتقوى في نهاية الأمر إلى الفلاح كما يصور الحروف المستفلة عبر تكرارها، هذا الفلاح المستقر في خاتمة الآية.

من جهة أخرى فقد عبّر سبحانه عن دعوة المؤمنين إلى الصبر والمصابرة والمرابطة بالحروف المستعلية يعني الصاد والطاء والقاف والراء مع الكاف ومن هنا انتشر صوت الصاد والطاء والقاف والكاف، ويضفي صوت الصاد بطبيعته الصفيرية على الآية، موسيقى صاحبة وقوية. هذا الصوت والأصوات الأخرى تختص مجتمعة بدلالة القوّة والشدة التي ختمت بها سورة آل عمران بالصبر على تكاليف الدين والمصابرة لأعداء الله في الجهاد ومعاقبتهم والصبر على شدائد الحرب والمرابطة في الغزو.

الغنة

والغنة لغة: الترمّ وقيل: صوت رخيم يخرج من الخيشوم واصطلاحاً: صوت لذيذ مركب في جسم النون والميم، والغنة خاصّة بالنون والميم المشدّتين، ومقدارها حركتان... والغنة من الصفات وهي كما تقدم صفة النون ولو كان تنويناً والميم المدغمتان والمخففتان؛ وأحرف الغنة على العموم هي: النون والميم المشدّتان، والنون الساكنة والتنوين حال إدغامهما بأحرف (ينمو)، وحال إقلاهما ميماً لدى الباء وحال إخفائهما لدى حروف الإخفاء والميم الساكن لدى إدغامها بالميم ولدى إخفائها عند الباء (الشافعي، ٢٠٠٠م: ٧٩) تتشكل الغنة من أربعة أحكام في النص القرآني وهي الإدغام والإخفاء والإظهار والإقلاب ويوجد في القرآن نماذج كثيرة من هذه الأربعة.

لنتأمل هذا المشهد: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَعُدُّهُمْ عِدَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (آل عمران/٥٦) إنّ الأسلوب المختار في خاتمة الآية السابقة والآية ٩١ هو انتقاء حروف متقاربة المخرج وأغلبيتها تتشكل من الميم والنون فيؤدي هذا الانتقاء إلى دلالات جديدة أو استنباطات فردية و«يولد في نفس كل مستمع، الإحساس الشديد بالضم والالتصاق بمجرد أن يلتقط سمعه هذه الميمات المتضامنة الملتصقة.» (عطية، ٢٠٠٦م: ٢٦٩) ويرى المتلقي أحما من حروف الغنة وربما تدلّ هذه الصوامت على نوع من الانقباض والخفقان وقطع النفس بانتهاؤ التنفس في أداء الجملة، فيمكن القول إنّ هذا الخفقان بعد أداء الحروف بسبب خروجها من الخيشوم يوحي باختناق الكافرين وتضييق صدورهم وقطع أنفاسهم من مشهد عذاب مخيف هوّل الله الكافرين به إذن يحتاج المشهد العظيم المؤلم إلى أسلوب يتناسق مع المقام.

استكملت جمالية هذا الانسجام بتكرار صوت النون «تصاحبه غنة شجية، تطرب لها الأذن، وتميل إليها النفس ولذلك يكثر دخوله في التراكيب تطريباً وتشجياً.» (علي السيد، ١٩٧٨م: ١٢) فأتبع الياء الصائتة بصوت النون في الآيتين السابقتين في خاتمتهما وذلك في كلمة "ناصرين" وبذلك نسمع صوت الأنين

المنبعث من النفس الحزينة؛ إضافة إلى الآهات المتتالية في كلمات "أعدّهم"، "فلن تقبل توبتهم"، "عذاب أليم" ليعكس بذلك دلالة الحزن واضحة جلية، تاركة صداها في نفس المتلقي حيث يعتقد بعض الباحثين ومنهم لويس على دراسة مراحل نمو الطفل، أنّ «الطفل في غضبه يصدر أصواتاً أنفية، كالنون والميم.» (انيس، ١٩٨٤م: ٢٨-٢٩) وأشار بعضهم إلى طاقة التنغيم والغناء الكامنة فيها. (عبد الدلم، ١٩٩٣م: ٣٢)

ظهر في الآية الكريمة، الإدغام بالغنة بين كلمات «لهم من ناصرين» بشكل إدغام الميم في الميم؛ وإدغام النون في النون؛ وتضعيفهما وأما استخدام هذا الأسلوب أي تكرار صوتين فينسخ مع سياق الموقف لأن بعض الدارسين يعتقد أن تكرار صوتين شرط أساسي ليصبح إيقاع الأصوات فاعلاً ومؤثراً (مزعل حميد الراوي، ١٩٩٦م: ١٧٩). تحكي الآية عن تأثر الإنسان وانفعاله وحاجته إلى الله في تلك المواقف العصبية والصعبة فيوحي هذا التعبير بضعف الإنسان وعجزه وحاجته الكثيرة إلى الله في دفع السخط والعذاب إذ ينتمي الله في أسلوب الآية من الإدغام بالغنة بسبب تكرار النون والميم.

وفي قوله تعالى: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (آل عمران/٦٠)، و ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (آل عمران/١٩٧) يلاحظ المتلقي أنّ الآية بتوالي الغنات يخلق إيجاءً خاصاً بواسطة هذا التقارب كما يرى في ضوء حضور التنوين والواو وتكرار الميم سبع مرات يتبادر منها إلى ذهنه، معنى هامشي وتجنس في تصويره عن جهنم، شدة الخفقان وتقطع النفس وتضيق الصدر. لذا يعدّ الإيقاع الداخلي من أهمّ المنبهات المثيرة للانفعالات الخاصة، كما يثير إيجاءً نفسياً خاصاً عند المتلقي والمتكلم على السواء. (ناجي، ١٩٨٤م: ٤١)

في خاتمة قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران/١٠٢) استكملت جمالياتها بتكرار صوت النون فأتبع الواو الصائتة بصوت النون في خاتمة الآية وذلك وقع في كلمة "مسلمون" وبذلك نسمع صوت الأنين المنبعث من النفس الحزينة؛ إضافة إلى الآهات المتتالية في غنة النون في كلمة "لامتوتن" وتكرار الميم وغنته، ليعكس بذلك دلالة الحزن واضحة جلية، تاركة صداها في نفس المتلقي فتبدى مظاهر موضوعية في تأملنا من خلال ذكر الغنة.

«تبرز ميزة التنغيم والتعني بكل وضوح في فواصل القرآن الكريم من خلال حرف النون الذي يمثل أكثر من نصف فواصل القرآن ويأتي حرف الميم بعد النون أكثر استعمالاً في الفواصل» (ميسه، ٢٠١٢م: ٧٨) ويبرز صوت الغنة أيضاً في مقام التنذير وفي سياق التهديد؛ فيزيد من حدتها ويضعف

من وقعهما على النفوس ويساهم مع أصوات أخرى في التعبير الفني عن الإنذار الشديد الجرس كما في قوله تعالى: ﴿...إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ هُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ (آل عمران/٤) يقول مصطفى صادق الرافعي في هذا الشأن: «وما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن إلا صور تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى... وتراها أكثر ما تنتهي بالنون والميم وهما الحرفان الطبيعيان في الموسيقى نفسها أو بالمدّ، وكذلك طبيعي في القرآن.» (الرافعي، ٢٠٠٥م: ١٥٠) فقد كان لصوت النون وغنتها في خاتمة الآية، رنين ووقع يصمّان الأذان من شدتها ويزلزلان النفوس، حيث يقول الخالق إنّه يعذبُ الكافرين عذاباً شديداً ومديداً كما «أنّ النون والميم هما أطول الصوامت العربية من حيث المدة الزمنية التي يستغرقها كل منهما في النطق.» (الشمالية، ١٩٩٩م: ٧٨)

في قوله تعالى: ﴿... وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (آل عمران/١٦٤) جاء في هذه العبارة الإدغام بالغنة في عبارة "ضلالٍ مُّبِينٍ" بشكل ادغام التنوين في الميم حتى يلفظ بشكل "ضلالٍ مُّبِينٍ" وأما الادغام في بنيته الظاهرية فيعني ضمّ الشيء بشيء والتصاقهما الوثيق. وهو عارض يهدف إلى تحقيق الانسجام الصوتي ووضوح المعنى.

إنّ الناس في العصر الجاهلي كانوا في ضلال شديد وحياة سيئة فيجد المتعمّق في الآية أن انتقاء أسلوب الإدغام بالغنة ينسجم مع هذا المفهوم، كما يرى فيها تأثيراً صوتياً من الإدغام الظاهري على الالتصاق الحقيقي كما كانوا في ضلال بعيد بشموليته وإحاطته الكاملة عليهم ومن حيث المدة الزمنية ويمكن أن يستنتج المتلقي من الخاتمة، ضلالتهم المحضّة ويُعدهم الكثير عن التركية والتعليم والهداية.

في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ مِثْلَ هُم خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نَمْلِي هُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (آل عمران/١٧٨) تبلورت ظاهرة الغنة بسبب تكرار الميم والتنوين وانتاج الالتصاق في بنية الكلام وهو يوحى بمعان ضمنية فضلاً عن المعنى المركزي وهي التصاق العذاب بالكافرين ومهانتهم لوقوع الادغام في بنيته الظاهرية يعني ضمّ الشيء بشيء والتصاقهما الوثيق. (عذابهم) «فالغنة مثلما تستخدم للتطريب، قد تستخدم كذلك للغضب؛ كسورة محمد (ص) فهي علاقة دالة عليه فهي . سورة محمد (ص). تتحدث عن حال الكافرين ومصيرهم.» (بلقاسم، ٢٠٠٩م: ٢٤).

القلب بالميم

لقد اعتاد القرآن الكريم على خلق الانسجام الصوتي في آياته على تكرار الأدوات والحروف باستخدام

القواعد التجويدية، منها قلب التنوين بالميم حتى يسبغ الجمال على الآيات وهو لا يعتني بتصوير المعاني عن ذكر الحرف مرة واحدة بل يستحثه على التكرار، ويبرز نسيحاً إيقاعياً يوفر انسجاماً جميلاً لأذان المتلقين كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران/١١٥) نجد فيه أنّ صوت الميم قد تردد ثلاث مرات بسبب قلب التنوين بالميم في نقطة التقاء "عليم" و"بالمؤمنين" وموضعها كان ملفتاً للنظر إذ أنّها كانت في خاتمة الآية ويكون ذلك راجعاً إلى الطاقات النغمية العالية لهذا الصوت إذ تُعد الميم من أوضح الصوامت مع "اللام، والراء والنون" (بشر، ٢٠٠٠م: ٣٥٨) فضلاً عن اشتراكه مع النون في أنّهما صوتان لا تفارقان الغنة بحال من الأحوال.

وفي قوله تعالى: ﴿...وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (آل عمران/١٥٣) يتجلى تكرار الحرف بسبب قلب التنوين بالميم في نقطة التقاء "خبير" و"بما" حين تشترك الألفاظ في حرف واحد سواء في أول الكلمة أم في وسطها أم في نهايتها مما يثري المستوى الموسيقي أو الانسجام الصوتي في النص الأدبي ويجعله أكثر ارتباطاً بالمعنى والدلالة. تردد صوت الميم في الخاتمة ثلاث مرات بما ينسجم مع الذوق العالي فجاء رائعاً دون تصنع وكأنّه قد قيل على سجية الإنسان، لأنّ صوت الميم يشبه الحركات في خاصية سمعية تتمثل بالوضوح السمعي ولأنّ صفتها. الغنة. تقوي من رنين الصوت وتكسبه عذوبة. و«يولد في نفس كل مستمع الإحساس الشديد بالضم والالتصاق بمجرد أن يلتقط سمعه هذه الميمات المتضامنة المتصلة.» (عطية، ٢٠٠٦م: ٢٦٩)

ولهذا يتبين لنا أنّ أساس الانسجام هو في صفات الحروف، إذ تنقسم إلى صفات كثيرة فالألفاظ والتعابير القرآنية المرتبة ترتيباً نحويّاً خاصاً وذات نظام صوتي هي دائماً سمات اللغة الأدبية، غير أن الأكثر أهمية من كل ذلك هو قدرة الألفاظ المستعملة في الأدب للتعبير الجميل عن أفكار ومعان، أكثر ممّا تعنيه مثل تلك الألفاظ بدلالاتها المختلفة في اللغة العامية خارج النص.

الإشباع

ظاهرة الإشباع تساعد على انفتاح المقاطع الصوتية وانسراحها وامتداد الصوت، وتنب النص القرآني، قيمة جمالية وهي «وقوع هاء الضمير المفرد الغائب مضمومة أو مكسورة بين متحركين والمتحرك الثاني ليس همزة.» (العقرباوي، ١٩٩٢م: ٦٣)

في قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران/٩٢) جاءت هاء الضمير في كلمة "به" مكسورة بين متحركين وتصدر الإشارة أن ظهور المدّ بهذا

المقام ليس اعتباطي بل هو جمال صوتي يشير إلى إعجازية الآية؛ وسبب ظاهرة الإشباع لأن صوت الياء يتردّد مرتين فيها؛ فيولد تكراره انسجاماً صوتياً؛ وهو صوت أقوى من حيث الوضوح السمعي فيطول ويمتدّ في الفاصلة؛ ومن المقرّر في الدراسات الصوتية أنّ لطول الصوت وزمنه أهمية في ترتيل القرآن. لم يقتصر تكرار الصوت في خاتمة هذه الآية على صوت واحد بل استخدم القرآن الكريم، فونيم النون خمس مرات واعتمد على تكرار صوتين معاً؛ فتردّداً تحقيقاً لغاية جمالية في الإيقاع الداخلي إذ تبدو ظاهرة تكرار صوتين أغنى إيقاعاً من تكرار صوت واحد؛ فيسبب صوت النون فيها طرباً وعذوبة سمعية حيث لم يغفل النقاد عن القيمة النغمية لصوت النون كما فعل المعريّ الذي نعت النون بأنّها «قينة الحروف». (المعري، ١٩٩٥م، ج ٢:٣٩٥)

ومن أمثله أيضاً قوله تعالى: ﴿... وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ (آل عمران/١٩٥) ففي الخاتمة جاء المد بسبب كلمة "عنده" مضمومة بين المتحركين وهذا يعتبر ضمن ظاهرة "الإشباع". نجد في الخاتمة أن مدّ الهاء ووقوعه قبل حرف متحرك ثم اختتام الآية بالألف المدي؛ ينتظم في مجموعة صوتية واحدة وتُسْتَنْبَط من هذه الخلفيات، معاني إيحائية جديدة إذ يكتف هذا المد، معنى الارتفاع وعلو مقام المؤمنين عنده تعالى. من جهة أخرى تجمع الخاتمة نسقاً آخر يعزز العلاقة فيما بينها وهو تردّد الضمة أربع مرات مع حضور الواو فلذا جاء الإشباع لتعزيز هذا السياق الصوتي ولمنحه خاصية جمالية ذات طاقة تأثيرية على المتلقي.

النتيجة

- إنّ الدراسة الصوتية لسورة آل عمران دلّتنا على وجود انسجام مقصود في خواتم الآيات.
- بسبب اندماج الكلمات والحروف المتلازمة وذات الصفات المعينة، تأخذ الخواتم، أبعاداً صوتية دلالية تناسب مع جوّ الآيات وتؤثر في نفسية المتلقي.
- برزت رموز الانسجام الصوتي في الخواتم خلال التكوينات الصوتية وفق خصائصها المخرجية وصفاتها كالجهر والاستفال... وقد أسهم تواتر تلك الأصوات في جمالية الانسجام الصوتي والدلالي.
- تنوعت استعمالات الخواتم لفن التجويد في الانسجام الصوتي كالإخفاء والإشباع و... فاستوفت صوره.
- استخدمت الخواتم بعض الخصائص كصفة الغنة، أكثر من غيرها لخلق الإيقاع الموحى بالمعنى الخاص بالحزن وتضييق الصدر والاختناق.

المصادر

الف) العربية

الكتب

القرآن الكريم

- ابن جني، أبو الفتح عثمان، (د. ت)، سر صناعة الإعراب، حققه: أحمد فريد أحمد، القاهرة: المكتبة التوفيقية.
- ابن سينا، (٩٨٣م)، أسباب حدوث الحروف، تح: يحي مير علم ومحمد حسان الطيان، الطبعة الأولى، دمشق، دار الفكر.
- أنيس، ابراهيم بلاتا، الأصوات اللغوية، د. ط، القاهرة: مكتبة النهضة.
- (٩٨٤م)، دلالة الألفاظ، الطبعة الخامسة، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- (١٩٥٢م)، موسيقى الشعر، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي.
- البرسيم، قاسم (٢٠٠٠م)، منهج النقد الصوتي في تحليل الخطاب الشعري، الطبعة الأولى، دارالكنوز الأدبية.
- بشر، كمال (٢٠٠٠م)، علم الأصوات، د. ط، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
- بونجمة، محمد (بلاتا)، الرمزية الصوتية في شعر أدونيس، د. ط، مطبعة الكرامة.
- بيگلري، حسن (بلاتا)، سر البيان في علم القرآن، الطبعة الخامسة، مكتبة سنائي.
- الحمزاي، محمد رشاد (٩٨٧م)، المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، د. ط، تونس: الدار التونسية للنشر، والجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- الرافعي، مصطفى صادق، (١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م)، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، د. ط، بيروت: دار الكتاب العربي.
- الشافعي الحفيان، أحمد محمود عبد السميع (١٤٢١ق/٢٠٠٠م)، الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ضيف، شوقي (بلاتا)، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، الطبعة العاشرة، القاهرة: دار المعارف.
- طحان، زيمون (١٩٧٢م)، الألسنية العربية، د. ط، بيروت: دارالكتاب اللبناني.
- عبد الدام، صابر (١٩٩٣م)، موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور، الطبعة الثالثة، القاهرة، مكتبة الخانجي
- عطية علي مطاوع، سعيد (٢٠٠٦م)، الإعجاز القصصي في القرآن، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الآفاق العربية.
- العقرباوي، زيدان محمود (١٩٩٢م)، المرشد في علم التجويد، الطبعة الأولى، عمان: دار الفرقان.

جمالية الانسجام الصوتي في خواتم سورة آل عمران سيد خليل باستان ، حسن سافي آلي، محسن زارعزاده مهريزي

علي السيد، عز الدين (١٩٧٨م)، التكرير بين المثير والتأثير، الطبعة الأولى، مصر: دار الطباعة المحمدية.

عمر، أحمد مختار (١٩٧٦م)، دراسة الصوت اللغوي، د.ط، القاهرة: عالم الكتب.

الغوثاني، يحيى عبد الرزاق (١٤٢٧ق/٢٠٠٦م)، تيسير أحكام التجويد، الطبعة الرابعة، دمشق: دار الغوثاني.

قطب، سيد (١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، التصوير الفني في القرآن، د.ط، بيروت: دار الشروق.

المعري، أبو العلاء (١٩٧٩م)، رسائل أبي العلاء، تحقيق: عبدالكريم خليفه، د.ط، عمان: منشورات اللجنة الأردنية للترجمة.

ناجي، مجيد عبد الحميد (١٤٠٤ق/١٩٨٤م)، الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، الطبعة الأولى، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

ب) الرسائل

الشمايلة، عبدالله محمد ياسين (١٩٩٩م)، الإيقاع في القرآن الكريم، السور المكية، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية.

مزعل حميد الراوي، حامد (١٩٩٦م)، المكونات الصوتية للإيقاع وأنماطه في الشعر والنثر، رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد.

ميسه، محمد الصغير (٢٠١٢م)، جماليات الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم، رسالة الماجستير مقدمة إلى كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر - بسكرة . الجزائر.

ج) الدوريات

بلقاسم، دفة (٢٠٠٩م)، "نماذج من الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم . دراسة دلالية . "مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر - بسكرة (الجزائر)، صص ١ - ٣٥.

زیبایی‌شناسی انسجام آوایی در خاتمه آیات سوره آل عمران

سید خلیل باستان^{۱*}، حسن ساقی آلنی^۲، محسن زارع‌زاده مهریزی^۳

۱. دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه علامه طباطبایی

۲. دانشجوی دکتری زبان و ادبیات عربی دانشگاه علامه طباطبایی

۳. دانشجوی دکتری زبان و ادبیات عربی دانشگاه علامه طباطبایی

چکیده

حضور حرفی خاص و تکرار آن در انسجام زیباشناسانه سخن دخیل است و به تقویت معنی و جایگاه آن منجر می‌شود و بر اهمیت و ارزش آن می‌افزاید. رعایت تجوید حروف و صفات آن نیز از دیگر عوامل اثرگذار بر زیبایی سخن است. در نتیجه حضور این عوامل، تأثیر الفاظ و در پی آن، قدرت معنی افزایش می‌یابد.

انسجام صوتی یکی از مهم‌ترین ارکان آیات و به خصوص جملات پایانی آن است؛ زیرا این قسمت از حروفی تشکیل شده که در القای قدرتمندانه معنی، نقش بسزایی دارد و بافت مقطعی آن از خلال علم تجوید نمایان‌تر، قویتر و تأثیرگذارتر است و در عین حال با محتوی و معنی هماهنگی کامل دارد. قدرت آهنگ و معنی، برخاسته از اصوات کلماتی است که به حروف و صفات تجویدی آن و نیز به نحوه ترکیب آنها با یکدیگر، وابستگی و تکیه دارد و در نتیجه این ترکیبات و ترتیبات، اشاراتی نیکو حاصل می‌شود و بدین ترتیب، نوعی از انسجام زیبا و برتر از بلاغت ظاهری پدیدار می‌گردد. بدین منظور این پژوهش، درصدد است تا به روش توصیفی - تحلیلی و با ذکر نمونه‌هایی از آیات، به کشف زیباشناسانه انسجام صوتی در پایان آیات بپردازد.

کلیدواژه‌ها: سوره آل عمران؛ انسجام؛ تجوید؛ معنی؛ پایان آیه‌ها.